الشبهات اللغوية والأدبية
حول القرآن
المتأثرة بجغرافية عرب الجاهلية

دراسة ونقد

الأستاذ المشرف الدكتور حسين شريف العسكري
أستاذ مساعد في كلية أصول الدين، إيران، قم
أ.م.د. هادي نصيري للردي
استاذ مساعد في جامعة علوم ومعارف القرآن، إيران، قم.
سعد الغنامي/ طالب دكتوراه في كلية أصول الدين، إيران، قم

الملـخّـص

يتناول هذا البحث – بالدراسة والنقد - الشبهات اللغوية والأدبية حول القرآن الكريم المتأثرة بجغرافية عرب الجاهلية، والمثارة من قبل بعض المشكِّكين بقدسية الكتاب الإلهي.

وتبرز أهمية هذا الموضوع في تقديم الإجابة عن تلك الشبهات بأسلوب علمي، يسدّ الأبواب بوجوه المغرضين، ويقوِّي إيمان المؤمنين ويثبّتهم.

إنَّ هذه الدراسة تمثل بحثاً جديداً في معالجة ودفع الشبهات القرآنية - شبهة تأثر القرآن بلغة وأدب عرب الجاهلية - من خلال جمع الشبهات من مصادرها الأصلية والإجابة عنها، وبلورة رؤية صحيحة ومتكاملة عن حقيقة القرآن الكريم.

ولأجل الوفاء بمتطلبات هذا البحث تمَّ إعداد مخطط البحث بحيث يشمل: تناول كليات البحث، وبيان الواقع اللغوي والأدبي للعرب قبل الإسلام، وتحليل الشبهات اللغوية والأدبية المثارة حول القرآن من خلال الإشارة إلى دعوى وجود أخطاء نحوية في القرآن، وبيان العلاقة القائمة بين النحو والإعراب والقرآن، وبيان الإجابة الإجمالية عن الشبهات التي حملت عنوان الأخطاء النحوية، والشبهات الصرفية والدلالية والبلاغية.

الكلمات المفتاحية: الشبهات اللغوية، الشبهات الأدبية، تأثر القرآن، القرآن واللغة العربية، جغرافية عرب الجاهلية.

Summary

The current thesis deals analytically and critically with the arguments raised by some skeptics who suspected the divineness and holiness of the Qur'an, exclusively the arguments about the Qur'an’s linguistic and literary aspects focused on and affected by the geography of the Arabs of the pre-Islamic era. The significance of the study lies mainly in giving adequate answers to these arguments in a scientific manner that lock all doors in the faces of the malicious opponents of the Qur'an and strengthens firmly the faith of those believing therein. In order to meet the requirements of this research, the research plan was prepared to include: addressing the research faculties, showing the linguistic and literary reality of the Arabs prior to Islam, and analyzing the linguistic and literary suspicions raised about the Qur'an by referring to the case of grammatical errors in the Qur'an.

And a statement of the total answer to the suspicions that were called grammatical errors, and the suspicions of frankness, semantics and rhetorical.

Keywords: language-related spurious arguments, literature-related spurious arguments, Qur'an’s affectivity, The Qur'an and Arabic language, Geography of the Arabs of the pre-Islamic era

المقدمة

لم ينفكَّ إبراز العداء للقرآن للكريم منذ اللحظة الأولى لنزول الوحي، فهي خصومة قديمة حديثة، انطلقت شرارتها قبل تحدِّي القرآن لهم وبعده، وقد سلك أولئك المخاصمون من مشركي مكة طرقاً شتَّى من الافتراء، منها زعمهم أنَّ القرآن سحر يؤثر، وأنَّه قول البشر، وأنَّه أساطير الأولين، وأنَّه شعر، ثم تصل النوبة إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، إذ قالوا عنه: ساحر مجنون، وأنَّه شاعر، وقد ردَّ عليهم القرآن الكريم، وفنَّد مزاعمهم، محتجّاً عليهم بالمنطق والعقل، بل وزاد على ذلك بتحديهم، بأن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله ولو مفتراة –كما يزعمون - فعجزوا وما زالوا عاجزين، وركنوا لاجئين - كما حكى عنهم القرآن ذلك – إلى اللغو فيه، وصرف الناس عن سماعه.

واتخذ أسلوب اللغو وصرف الناس عن القرآن عدَّة مناحي من خلال تتبُّع المتشابهات، والتلبيس على الناس، فحرَّفوا الكلم عن مواضعه، ثم حكموا عليه بالتناقض وفساد النظم والاختلاف.

إنَّ المدعين للباطل روجوًا لمقولة يمكن التعبير عنها وصياغتها بالنحو التالي: (بين تأثير القرآن وتأثُّرِه)، وهذان الأمران أوّلُهما حقٌّ ظاهر، وهو تأثير القرآن الكريم في البيئة التي نزل فيها، وثانيهما باطل، وهو تأثر القرآن بهذه البيئة وإفادته منها، وظهور آثار هذا في مضامينه وأسلوبه.

من المعلوم إنَّ الجزء الآخر من المقولة وهو تأثُّر القرآن بأحداث

العصر، وبثقافة أهله وإفادته من هذا كلِّه، مما يعني أنَّه كان متأثِّراً بالبيئة، لا مؤثِّراً فيها، هو ما توهَّمه عامة المستشرقين وزعموه، أمثال: نولدكه، وجولدتسيهر، وبلاشير، وغيرهم ممن تابعهم على ذلك.

هذه المقولة التي ساقها هؤلاء تؤكِّد بجلاء أنَّ أهل مكة مع كفرهم كانوا أكثر احتراماً لأنفسهم، من هؤلاء الذين يدَّعون العلم والموضوعية، إذ لم نسمع أنَّ أحداً من كفار مكة قال هذه المقولة، مع أنَّهم كانوا في بداية أمرهم يقولون ما يقوله بعض المستشرقين اليوم، بأنَّ القرآن الكريم ليس وحياً.

إنَّ كفار مكة لم يروا في القرآن اضطراباً في الأسلوب، ولا تناقضاً في المضمون، وقد كانوا يشعرون أنَّ القرآن قادم إليهم بقوة وثبات، ليغيِّر واقعاً بكل ما فيه، وينشئ واقعاً جديداً، وهم لا حول لهم ولا قوة.

وقد جاء هذا البحث كمحاولة لردع زيف المشكِّكين والمتخذين من شبهة الأخطاء اللغوية والنحوية والأدبية في القرآن منطلقاً للتشكيك بكتاب الله تعالى، والمساس بعقيدة المسلمين، وخصوصاً قليلي المعرفة منهم بالقواعد العامة للغة العربية.

أهمية البحث وضرورته:

القرآن هو كلام الله المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بواسطة الوحي الإلهي، بلسان عربي مبين، وهو معجزة النبي بإعجازه اللفظي والمحتوائي، وهو الحق الذي لا يأتيه الباطل، المصون عن كل تحريف، والأدلة قائمة على كون القرآن كلام الله تعالى، وأنَّ ألفاظه ومعانيه وحي إلهي، نزلت بواسطة الملك الأمين ـ جبرائيل ـ على النبي (صلى الله عليه وآله)، ولكن

نجد المتربصين بالإسلام لم يألوا جهداً في الطعن بالقرآن مذ يوم نزوله إلى يومنا هذا.

وفي وقتنا الحاضر آخذة عناوين معصرنة، تعود بروحها لماض سابق عليها، ليبرز عنوان تأثر لغة القرآن وأسلوبه الأدبي بجغرافية عرب الجاهلية، متذرعين لذلك بجمع المفردات والأشعار التي تنسب لشعراء وخطباء العصر الجاهلي، مدَّعين بأنَّ أسلوبه الأدبي مقتبس من عصر سابق.

وأساس الشبهة قائم على بشرية القرآن وكونه من تأليف النبي، وأنَّ مصدره محيط العرب اللغوي والأدبي، وبالتالي نلحظ أنَّ ألفاظ القرآن فيها لغة وأدب القبائل التي كانت تعيش هناك غير منحصرة بقريش فقط ـ الذين هم عشيرة النبي ـ وهذا يعني تأثر النبي بمحيط عرب الجاهلية.

تبرز أهمية هذا الموضوع في تقديم الإجابة عن الشبهات المطروحة حول القرآن الكريم لا سيمَّا المتداولة في وقتنا الحاضر والمعاصر كشبهة تأثر لغة القرآن وأدبه بجغرافية عرب الجاهلية، وسدّ الأبواب بوجه المنحرفين عن القرآن، وتقوية إيمان المؤمنين وتثبيتهم.

ويمكن أن نلحظ أهمية هذا البحث في عدة عوامل تشكل مع بعضها الهدف الأساس:

١. أهمية البحث القرآني: للبحث القرآني قيمة بحد ذاته، فإنَّ تناول الأبحاث القرآنية على جميع المستويات وفي شتى النواحي يمثل نوعاً من الاهتمام بهذا الكتاب الإلهي.

٢. وجوب الدفاع عن القرآن: حيث يلزم الوقوف من أجل خدمة القرآن

الكريم، ونشر معارفه، وبيان عظمته، من خلال دفع الشبهات التي تريد النيل من قدسيته لدى المسلمين، ـ وهي واجب شرعي كفائي ـ والسعي بإخلاص لتسفيه المعارضين بالحجج والبراهين، وتقوية إيمان المسلمين.

٣. التصدي للشبهات، وهذا تارة يكون بعد صدور الشبهة وتداولها ووصولها لعموم الناس، وأخرى في بدء نشوءها، فيتمحور في:

أ. التصدي للشبهات العلمية، والمساهمة في بناء الصرح المعرفي وإثراء العلوم البشرية.

ب. قطع الطريق على الذين يثيرون هذه الشبهات، ووأد الشبهة في مهدها.

٤. التعريف بواقع الفكر الجديد والشبهات المطوية بين السطور، خصوصاً بعد ثورة التكنولوجيا الهائلة في عالم المعلومات.

٥. قلة الدراسات النقدية، والحاجة إلى تأسيس أبحاث جديدة باتجاهات حديثة.

٦. يتكفل هذا البحث ـ بعد التعريف بهذه المسائل ـ توجيه الباحثين نحو التوسع فيه، وتلافي مكامن الضعف، ودراسته من أوسع أبوابه.

ولم أعثر على كتاب مستقل تناول موضوع هذه الرسالة، نعم قد تدرج بعض أجزاء هذه الشبهة وجوابها في طيات بعض الكتب التي كانت بصدد الذود عن القرآن والدفاع عنه، وخصوصاً العناوين التي تناولت اللهجات في القرآن الكريم، والمفردات الدخيلة والأجنبية فيه.

إنَّ كلّ ما كتب لم يتعرض للإجابة عن الشبهات اللغوية والأدبية المثارة حول القرآن الكريم المتأثرة بجغرافية عرب الجاهلية كما تعرضت له هذه الأطروحة، لأن ما كتب يتراوح بين من لم يتعرض لشبهة تأثر القرآن بلغة وأدب عرب الجاهلية، وبين من اقتصر على بعض أجزائها، وعليه فالدراسات بهذا الخصوص غير كافية لملأ الفراغ في هذا الجانب.

إنَّ هذه الدراسة تمثل بحثاً جديداً في معالجة ودفع الشبهات القرآنية ـ شبهة تأثر القرآن بلغة وأدب عرب الجاهلية ـ من خلال جمع الشبهات من مصادرها الأصلية والإجابة عنها، وبلورة رؤية صحيحة ومتكاملة عن حقيقة القرآن الكريم، وهدفه السامي في هداية البشرية جمعاء.

وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي والمنهج التحليلي بشكل أساسي، واستعانت بالمناهج الأخرى وفقاً لمتطلبات البحث، كما يلي:

١. الاستفادة من المنهج الوصفي في استقراء وتتبع وفرز الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم، من خلال التركيز على الشبهات التي لها قائل حقيقي، مع ذكر المصدر.

٢. الاستفادة من المنهج التحليلي في بيان ما يتعلق بالشبهات اللغوية والأدبية المثارة حول القرآن الكريم المُدّعى تأثرها بلغة عرب الجاهلية وأدبياتهم، من خلال الإشارة إلى الدواعي والعوامل التي أدَّت إلى تحريض بعض الباحثين إلى طرح هذه الشبهات.

٣. الاستفادة من المنهج النقدي بمعنى تسليط الضوء على هذه الشبهات والإجابة عليها وتفنيدها وفق منهج استدلالي علمي ينطلق منه الباحث ليقدم

إجابات علمية رصينة.

تعريف المصطلحات والمفاهيم المرتبطة بالبحث:

نودّ أن نشير هنا إلى أهم الاصطلاحات والمفاهيم التي وقعت في عنوان هذا البحث:

الشبهة لغة واصطلاحاً:

(شُبهة [مفرد]: الجمع: شُبُهات وشُبْهات وشُبَه[١].

تدور كلمات اللغويين عند بيان معنى الشبهة حول المماثلة والمشاكلة والالتباس[٢].

إنَّ مادة شبه في اللغة تفيد معنى المماثلة والمشاكلة المؤدية إلى الالتباس والاختلاط في الفهم، بمعنى أنَّ هذا يشبه هذا أي ماثله وشابهه حتى التبسا.

وأما المعنى الاصطلاحي للشبهة والمراد لنّا في هذا البحث، وهو الشكوك التي توقع في اشتباه الحق بالباطل، فيتولد عنها الحيرة والشكَّ والارتياب.

الاستعمال القرآني للشبهة:

ورد لفظ (الشبهة) ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنى عشرة مرة في تسع آيات وست سور[٣]، قال الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ):

الشُّبْهَةُ: هو أن لا يتميّز أحد الشّيئين من الآخر لما بينهما من التّشابه،

عيناً كان أو معنى[٤].

والمختار من اصطلاح الشبهة: هو أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه. والمراد بالشبهات في هذا البحث: هي الآراء والشكوك والأكاذيب التي يعرضها المشككون والمستشرقون في دارستهم المتعلقة بالقرآن الكريم في خصوص القضايا اللغوية والأدبية، ومن ثم الصيرورة إلى إثارة الافتراء والارتياب حول المصدر الأول للدعوة الإلهية وهو القرآن الكريم وصولاً إلى كتمان حقيقة وحيانية القرآن الكريم.

الجاهلية لغة واصطلاحاً:

الجاهلية في اللغة مصدر صناعي مأخوذ من الجاهلي نسبة الى الجاهل المشتق من الجهل[٥]. وهي من مبتكرات القرآن الكريم كما حكاه السيوطي[٦] (ت: ٩١١هـ).

ولم يكن لفظ الجاهلية إلا اصطلاحاً قرآنياً جاءت به الآيات القرآنية، ثم جاء في لسان الأحاديث والروايات، وراج استعماله في الكلمات، ولم يكن يراد به إلا فترة ما قبل الإسلام، ولا نريد هنا الخوض في تحديد بداية فترة العصر الجاهلي وإنما ما يهمنا منها هو الفترة الزمنية السابقة على نزول القرآن، والتي أطلق القرآن الكريم عليها لفظ الجاهلية.

قال جواد علي: و (الجاهلية) اصطلاح مستحدث، ظهر بظهور الإسلام، وقد أطلق على حال قبل الإسلام تمييزاً وتفريقاً لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة، على النحو الذي يحدث عندنا وعند غيرنا من الأمم من إطلاق تسميات جديدة للعهود القائمة، والكيانات الموجودة بعد ظهور أحداث

تزلزلها وتتمكن منها، وذلك لتمييزها وتفريقها عن العهود التي قد تسميها أيضًا بتسميات جديدة[٧].

كما ينبغي التنبيه على أننا نريد دراسة اصطلاح الجاهلية لا اصطلاح الجهل الذي له ارتباط بعلم المنطق والكلام.

الاستعمال القرآني للجاهلية:

وردت مادة (جهل) في أربعة وعشرين آية في القرآن الكريم، ترددت فيها صيغ (تجهلون) و(يجهلون) و(الجاهل) و(جاهلون) و(الجاهلين) و(جهولاً) و(جهالة) و(الجاهلية).

ولفظ (الجاهلية) لم ترد هذه اللفظة في الشعر الجاهلي، إنما هي صيغة أوجدها القرآن الكريم، وانتشرت فيما بعد لتكون علماً على الفترة التي سبقت نزول القرآن.

الاصطلاح المختار:

يمكن اختيار معنى عام ينسجم مع هذه الدراسة، فيكون معنى الجاهلية هو عدم العلم الملازم للسفة والحمق، وعدم الانصياع للشريعة الإسلامية والانقياد لها. وهذا المعنى العام ينسجم مع المعنى اللغوي والاصطلاحي وكذلك مع الآيات القرآنية والأحاديث والروايات والشواهد التاريخية.

ولفظ الجاهلية وإن كان في الأصل صفة، فقد غلب عليه الاستعمال حتى صار اسماً، ومعناه قريب من المصدر.

فالجاهلية من حيث كونها اسماً لزمن تطلق على الفترة التي كانت قبل بعثة

النبي صلى الله عليه وآله ولا تطلق على زمن بعد هذه البعثة. أما من حيث كونها صفة فقد يوصف بها بلد غير إسلامي، وقد يوصف بها الشخص قبل أن يسلم، وقد يوصف بها شخص مسلم توجد فيه صفات الجاهليين، فهو جاهلي وإن كان من أهل الإسلام(٨).

وأما سائر المفردات التي جاءت في عنوان البحث فيراد منها:

الأدب: المختار هنا هو الأدب الوصفي الذي هو إحدى الدراسات التي تدور حول الكلام واتجاهاته ونواحي الجودة فيه. ومرادنا من اللغة هنا هو اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

القرآن: هو كلام الله المنزل على النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بواسطة الوحي الإلهي، وهو المعجزة الخالدة بمعارفه وأحكامه، الذي لا يأتيه الباطل ولا يعتريه الشك.

الجغرافية: ويقصد به حدود التضاريس المكانية من حيث حيز المكان الجغرافي لنزول النص القرآني فيه، وحيز التتابع المكاني للنص ذاته، وفقاً للرؤية المطروحة، وعلاقة كلاً منهما بالحدث واللغة.

الواقع اللغوي والأدبي للعرب قبل الإسلام:

إنَّ الذي يعنينا هنا هو تلك اللغة التي تتجلى بوضوح في هذه النصوص الكثيرة التي تنتظم فيما تنتظم شعراً تعارفوا على تسميته بالشعر الجاهلي، وتنتظم أيضاً نثراً يتمثل في خطب وأمثال، نحن إذن لن نوغل في التاريخ أبعد

من هذه الفترة التي تحددها النصوص الجاهلية.

وهذه اللغة فيما نعلم وفيما تؤكده طبيعة الأشياء لم تكن لغة متوحدة توحداً كاملاً، بل كانت لها لهجات كثيرة تختلف فيما بينها اختلافاً يكبر أو يصغر حسبما يكون بينها من تقارب أو تباعد نتيجة طبيعية لأسباب جغرافية واجتماعية، وحصول الاختلاط والاحتكاك بسبب الحروب والغزوات والهجرات والتجاور، لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها فيما يعن لهم من فن أو من جد القول.

والذي نراه موافقاً لطبيعة التطور اللغوي، هو أنَّ شبه الجزيرة العربية كانت تشتمل على لهجات كثيرة مختلفة تنسب كل لهجة منها إلى أصحابها، وإلى جانب هذه اللهجات كانت هناك لغة عربية مشتركة تكون على مرّ الزمن، وهذه اللغة المشتركة لا تنسب إلى قبيلة بذاتها لكنها تنسب إلى العرب جميعاً ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها، وهذه النصوص ليست قرشية أو تميمية أو هذلية فقط، بل هي من قبائل مختلفة مما يدل على أنَّ هذه اللغة المشتركة هي التي كان الأدباء يصطنعونها في فنهم القولي. ومع وجود هذه اللغة المشتركة احتفظت اللهجات المختلفة ببعض خصائصها[٩].

العلة في نزول القرآن باللغة العربية:

لا يخفى الجواب كثيراً عن ذهن أي سامع عندما يطلب منه الإجابة عن سؤال مفاده: ما هي علة نزول القرآن باللغة العربية دون غيرها من اللغات؟

ولكن قبل بيان العلة والسبب في نزول القرآن الكريم باللغة العربية لابدَّ

من طرح سؤال: بأي لهجة نزل القرآن الكريم؟ هل نزل بلهجة قريش أم بلهجات قبائل العرب، أم نزل بغيرهما؟

اختلفت وتعددت الأقوال في اللهجة التي نزل بها القرآن، وتباينت آراؤهم، وتعددت المؤلفات والكتب التي عالجت هذا الموضوع قديماً وحديثاً، وقد ازداد الأمر تعقيداً، بدلاً من أن ينتهي الخلاف فيه، وأما الأقوال فهي على نحو الاختصار:

القول الأول: نزول القرآن بلغة ولهجة قريش فحسب. واستندوا برأيهم هذا على الروايات.

القول الثاني: نزول القرآن باللغة الأدبية – لغة الشعر والنثر. وهذا هو قول علماء اللغة المحدثين.

القول الثالث: نزول القرآن بجميع لغات العرب. واعتمدوا على آيات من القرآن الكريم.

القول الرابع: نزول القرآن على سبع لغات(١٠).

والذي نختاره: هو نزول القرآن بلغة عربية مشتركة بين القبائل، وهذه اللغة المشتركة لا تنسب إلى قبيلة بذاتها، بل تنسب إلى العرب جميعاً ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها، ومع وجود هذه اللغة المشتركة احتفظت اللهجات المختلفة ببعض خصائصها.

وأما سبب نزول القرآن بهذا اللسان العربي، فلأنَّ الوجود المعرفي الهائل في هذا القرآن لا يظهر للمكلّفين في هذه الأرض إلاّ بوساطة لغة تستوعبه بأيسر تفهيم وأليق عبارة إتماماً للحجّة عليهم، وإبلاغاً للمعرفة إليهم،

وإنقاذاً لهم من حيرة الجهالة. فأودع الله تعالى في مفردات اللغة العربية وتراكيبها طاقة دلالية متسعة، وأفقاً بيانياً ترامياً متحركاً بعنفوان خلت منه اللغات الأخر؛ إذ من الواضح أنَّه ليس اختياراً عشوائياً أو محض صدفة، وإنَّما نزل بلغة عربية لأنَّه أنزل في بيئة العرب، ومن المستبعد أن ينزل بغيرها، وبلغة لا يفهمونها، ومن هنا يمكن القول: إنَّ العلَّة تارة تكون خارجية بلحاظ الجغرافية والمحيط الذي نزل فيه القرآن، وأخرى تكون علة داخلية – ذاتية - بلحاظ مقومات اللغة العربية وما تميزت به دون سائر اللغات، ولما تتمتع به من مقوّمات اللغة الحيّة وعناصر قوّتها واستمرارها، من حيث وفرة مفرداتها بالأصالة والاشتقاق، أو بالحقيقة والمجاز، أو من حيث قبولها للتطور والتقدّم الحضاري، أو من حيث مرونة أساليبها، وصلاحيتها لكلّ ما يراد منها، أو من حيث فصاحة ألفاظها وبلاغة تراكيبها، وقد أريد لهذا القرآن المنزل أن يبقى المعجزة الأبدية الناطقة بصدق هذا الدين وبصدق رسوله.

أورد ابن السمعاني سؤالاً حسناً، وهو أنَّه كان من تقدم من الأنبياء عليهم السلام مبعوثاً إلى قومه خاصة فجاز أن يكون مبعوثاً بلسانهم، أما نبينا محمد صلى الله عليه وآله فمبعوث إلى جميع الأمم، فلما صار مبعوثاً بلسان بعضهم؟ أجاب: بأنَّه لا يخلو إما أن يكون عليه السلام مبعوثاً بلسان جميعهم، وهو خارج عن العرف والمعهود من الكلام، ويبعد بل يستحيل أن ترد كل كلمة من القرآن مكررة بكل الألسنة، فتعين أن يكون بلسان بعضهم، وكان اللسان العربي أحق من كل لسان، لأنَّ أوسع وأفصح، ولأنَّه لسان أولى بالمخاطبين[١١].

اللهجات العربية في القرآن:

لسنا بصدد دراسة اللهجات العربية وعوامل تكونها وأسباب ظهورها ومظاهرها، والصفات التي تتميز بها لهجة عن أخرى في إطار اللغة الواحدة.

جاء القرآن الكريم محافظاً على كثير من الألفاظ التي ترجع نسبة اختصاصها إلى قبيلة ما من القبائل التي كانت في الجزيرة العربية أو تحاذيها، وأنَّ عوامل التقريب بين اللهجات كانت متوافرة، والفرص لتوحيدها كانت متاحة، من خلال المحافل الأدبية والمناسبات العامة، ولكن هذا لم يحدث حتى نزل القرآن الكريم، فاستجلى العرب مظاهر الادب الرفيع المعجز في عباراته وأمثاله واستعاراته ومجازاته وكنايته وتشبيهه وتمثيله، وهم أهل الإرهاف في الذوق، والسمو في الحاسة الفنية، فهم بعد نزوله بعث فيهم الميل الشديد إلى محاكاة أساليبه واقتباس ألفاظه، ودربوا ألسنتهم على الانطباع بألفاظ القرآن، فهم أدركوا أنَّ ألفاظه تزيد ألسنتهم حسناً، ويفيضها عذوبة، فأذاب القرآن قسم كبير من تناكر اللغات واختلاف اللهجات.

ينظر إلى اللهجات الواردة في القرآن الكريم من زاوية: أنَّ وجود اللهجات في القرآن دليل على إعجاز هذا الكتاب الإلهي الذي لم ينحصر إعجازه في قوة تشريعه وعلوّ تمدن مراميه بقوانين الأخلاق الراقية. وقد دأبت كتب التفسير والقراءات والمعاجم اللغوية على أن تعزو بعض الألفاظ إلى قبائلها. ولا شك أن تتبع هذا الأمر فيه من الصعوبة ما لا يمكن تجاوزها بسهولة، وذلك لورود كثير من الألفاظ والمفردات دون أن تعزى إلى أهلها، ولو أنها جاءت معزوة لاستطاع الباحث أن يدرك بيسر وسهولة ما ورد في

القرآن الكريم من لغة هذه القبيلة أو من لغة تلك.

وهكذا نجد أنَّ القرآن الكريم ضمَّ ألفاظاً من معظم القبائل وهذا الأمر يومئ إلى غاية قصد إليها القرآن الكريم وهي: توحيد العرب، وجعل القرآن كتاباً تجد فيه كل قبيلة من ألفاظها الخاصة بها، ثم إيجاد لغة واحدة تكون اللغة الرسمية للعرب جميعاً، هي تلك اللغة الكاملة التي نجدها في القرآن الكريم[١٢].

تحليل شبهة الأخطاء اللغوية:

إنَّ أول من عقد باباً لعنوان الشبهات النحوية واللحن في القرآن هو الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) في كتابه (الانتصار للقرآن) في باب لا يتجاوز الثمان صفحات، تحت عنوان (باب الكلام عليهم فيما طعنوا على القرآن ونحلوه من اللحن)، وقد ناقش الروايات الواردة في هذا الباب[١٣].

تتداول هذه الشبهة بشكل واسع على سطح الشبكة العنكبوتية (الانترنت) وفي مواقع ومنتديات الغرض والهدف منها هو زرع التشكيك والتلبيس على البسطاء، وقد أخذت جلّها من كتب إعراب القرآن والتفاسير وطرحت تحت عنوان شبهة، وقد قام أحدهم تحت اسم مستعار (عبد الله الفادي) وهو رجل دين نصراني ـ كما في مقدمة كتابه ـ وجمعها في كتاب تحت عنوان (هل القرآن معصوم) وصدر الكتاب عن مؤسسة تنصيرية في النمسا، اسمها (ضوء الحياة) بثلاث لغات الألمانية والأنجليزية والعربية، وظهرت طبعته الأولى عام ١٩٩٤م، وتوزعه هيئات ومراكز التبشير النصرانية، ودعت المؤسسة المذكورة للتواصل معها لإرسال الكتاب لمن يطلبونه، كما أنها نشرته على

شبكة الانترنت.

أدعى عبد الله الفادي أنَّه وجد في القرآن مئتين وثلاثة وأربعين خطأ في مختلف موضوعاته، وهذا معناه أنَّ القرآن ليس معصوماً من الخطأ، ومعناه أنَّه ليس وحياً من الله، وليس كلام الله، وإنَّما هو كلام بشري ومن تأليف محمد، وقد تأثر في تأليفه بكلام العرب والمحيطين به، فوجدت فيه أخطاء كبيرة، إذ لو كان كلام الله لما وجد فيه خطأ واحد، وإذا لم يكن القرآن كلام الله لم يكن محمد رسولاً من عند الله، وهذا معناه أنَّ الإسلام ليس ديناً من عند الله. وقد صدرت الردود الكثيرة حول هذا الكتاب أو جزء منه، نذكر بعضها لا على سبيل الحصر:

١. حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين، مجموعة مؤلفين، صدر عن وزارة الأوقاف المصرية، تحت إشراف: الدكتور محمود حمدي زقزوق، ٢٠٠٢م.

٢. القرآن ونقض مطاعن الرهبان، الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي، ٢٠٠٥م.

٣. عصمة القرآن الكريم وجهالات المبشرين، الدكتور إبراهيم عوض، ٢٠٠٥م.

وغيرها من الردود التي صدرت على شكل أبحاث وملفات تناولت الكتاب أعلاه.

هذا، وقد أضاف المدعو هاشم العربي المعتنرّب لكتاب جرجس سال الأنكليزي (مقالة في الإسلام) تذييل على الفصول الثلاثة الأولى من الكتاب،

سرد فيها جملة من الإشكالات والتساؤلات والشبهات التي يبغي من وراءها الطعن في القرآن الكريم، وهنا أمور:

الأول: هل يمكن أن يكون في القرآن أخطاء نحوية؟

إنَّ علم قواعد النحو لم يكن له وجود قبل نزول القرآن، وكان العرب يتحدثون اللغة العربية بالسليقة والطبيعة، ولأن اللغة في أصلها سماعية لا قاعدية فكانوا يرفعون الفاعل وينصبون المفعول دون أن يتعلموا قواعد اللغة العربية، وما كان آباؤهم علموهم ذلك، بل لسليقتهم العربية التي نشأوا عليها منذ طفولتهم، فلو أنك سألت فطاحل شعراء العرب مثل عنترة أو امرئ القيس أو طرفة بن العبد وغيرهم من شعراء الجاهلية عن الموقع الإعرابي لكلمة ما فإنَّه لن يفهم ماذا تقصد من سؤالك؟ فلم يكن لتلك القواعد النحوية وجود بشكل نظري، ولكنهم كانوا يتحدثون اللغة بشكل صحيح من الناحية العلمية.

وعليه لا معقولية للبحث عن الأخطاء النحوية في القرآن الكريم، بعد فرض كون القرآن الكريم أحد المصادر الرئيسية لأعمال النحاة، ولا يمكن تقييم القرآن على أساس أعمالهم، وإن القيام بمثل هذه المحاولة كمثل محاولة العثور على الأخطاء الكونية على أساس الكتب التي كتبها علماء الفلك، أو كمحاولة الإطلاع على الأخطاء في جسم الإنسان على أساس الكتب التي كتبها علماء وظائف الأعضاء.

ثم يحق لنا التساؤل: هل غابت هذه الأخطاء التي اكتشفها المستشكل عن فصحاء قريش والعرب والأقحاح من أهل اللغة والفصاحة والشعر؟

ألم يكونوا مترقبين لأي خطأ مهما كان صغيراً حتى يتمهد لهم طريق

للطعن في القرآن، وقد سعى الأوائل الذين وقفوا بوجه القرآن لصد الناس عن التوجه إليه بتهم يختلقونها من عندهم يقذفون بها القرآن بأنَّه سحر وأساطير تارة، وأخرى يصفون النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بأنَّه معلم مجنون.

بل مما يزيد موقف ذلك المستشكل حرجاً أنَّ هؤلاء الكفار من أهل قريش رغم شدة عداوتهم للإسلام قد صرحوا وأقروا ببلاغة القرآن وأسلوبه المعجز حتى وصفه أحد كبرائهم وهو الوليد بن المغيرة، وقد كان من أعلمهم بالشعر والنثر وسجع الكهان فقال: والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنَّه ليعلو وما يعلى عليه، وإنَّه ليحطم ما تحته[١٤]. والفضل ما شهدت به الأعداء.

والعجب أن يأتي بعد قرون من لا علم له باللغة العربية وثقافة القرآن الإسلامية ليدعي ويزعم وجود أخطاء نحوية في القرآن الكريم.

الثاني: القرآن والقواعد النحوية:

من الطبيعي أن يكون تركيب القرآن الكريم منسجماً مع قواعد النحو العربي، ما دامت هذه القواعد تمثل تمثيلاً صادقاً سليقة العرب اللغوية عند نزول القرآن الكريم، لأنَّ القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، في زمن لم يكن فيه سلطان لغير ملكة العرب اللغوية، التي كانوا يحكمون بها على مدى صحة تركيب الكلام ومنزلته بين الرفيع منه والبليغ، ولم يرو عن أحد من العرب الخلص الذين نزل بينهم القرآن، أنَّه اعترض على صحة تركيب آية من القرآن، بل أقروا جميعاً حتى زعماء الكفر منهم على أنَّه أفصح كلام سمعوه وأبلغ كلام عرفوه، وأنَّهم عاجزون عن الإتيان بمثله، بل بأقصر سورة من

مثله.

وقد أجمع علماء البلاغة، ونقاد الكلام جميعاً على أنَّ هذا الكتاب قد بلغ ذروة البلاغة، مما استحق به أن يكون معجزة البيان العربي(١٥).

الثالث: القرآن والإعراب:

إنَّ الإعراب في اللغة العربية من أخص خصائصها التي انفردت به عن سائر اللغات السامية، وبقيت محتفظة به إلى اليوم في لغة العلم والأدب، وإذا كان الإعراب كعلم يدرس له أصوله وقواعده، قد ظهر متأخراً عن عصر نزول القرآن، إلا أنَّ هذا لا يعني أنَّه كان مفقوداً في لغة التخاطب بين العرب الأقحاح الذين نزل القرآن بلغتهم، بل كان سليقة لهم في الكلام فطروا عليها ونشأوا بها.

بدأت حركة الإعراب في القرآن بتنقيط المصحف على يد أبي الأسود، وإن حسَّ العرب بالإعراب، وإكرامهم له دعاهم أن يضبطوا بالنقط آخر الكلمات في القرآن الكريم حين يكتبونه، وإن ممارسة النحاة لهذا الضبط هدتهم إلى كشف علل الإعراب، فكان علم النحو(١٦).

لم يكد عاقل في الدنيا يفهم من لفظ الإعراب التزام قواعد النحو، فما ولد أولئك النحاة بعد، ولا نحوهم، ولا ضبط شيء من مقاييسهم ومعاييرهم! وإنَّما يفهم من الإعراب وضوح المنطق، وظهور المخرج، وخلوّ التلاوة من عيوب اللسان التي تذهب بالكثير من حلاوة القرآن(١٧).

وجاء القرآن متماشياً مع هذه الفطرة، وقد أضفى عليها من حلل الجمال والكمال ما جعلها غرة في جبين الدهر لا تزول، وإنك لتتأكد من هذا جلياً إذا

أمعنت النظر فيما يلي:

أولاً: الشعر العربي يقوم على الوزن والقافية، وأي تعديل فيهما مهما كان طفيفاً فإنَّه يفقده رونقه، ويبعده عن الاعتداد به في جملة الشعر. وما وصل إلينا من الشعر الجاهلي نجده منسجماً مع قواعد الإعراب.

هل يا ترى قد أعيدت صياغة الشعر العربي من جديد، بعد ظهور المدارس النحوية في عصور متأخرة عن وجوده؟

ثانياً: إنَّ مراعاة دقة التصرف الإعرابي في الكلام وتجنب اللحن قد حثَّ الناس الأوائل على أن يختلفوا إلى الأعراب في البادية ليأمنوا بمخالطتهم من اللحن، ويصقلوا ألسنتهم على سليقة العربي الصافية.

من هذا الذي سبق يتضح لنا أنَّ إلتزام الإعراب في الكلام كان سليقة عند عرب البادية، وأنَّ هذه السليقة قد أخذت تضعف عند غيرهم، حتى وجدوا أنفسهم مضطرين إلى اللجوء إليهم ليتعلموا منهم أصول الكلام في الوقت الذي لم تنتشر فيه مدارس النحو أو تشتهر هذه القواعد.

وهكذا كان الإعراب كامناً في اللغة كمون الروح في الجسد، وهنا لا نريد الدخول في كيفية نشأة علم النحو، ومن هم الأشخاص الذين أبرزوا هذا العلم ضمن قواعد وأطر خاصة به فإنَّه خارج دائرة هذه الرسالة[١٨].

الرابع: المستشرقون والمشككون والأخطاء اللغوية المزعومة في القرآن:

أتى بعض المستشرقين بزيف جديد لم يسبقهم إليه معاندو قريش وحلفائها

الذين وقفوا موقف المعاند الجاحد من القرآن الكريم، وتبعهم المشكَّكون على ذلك، هذا الزيف والزعم قائم على أساس إنكار المصدر الإلهي للقرآن الكريم وإدعاء بشريته، سواء كانت بشريته بأخذه من مصادر أخرى وتأليف بعضها إلى بعض أو نتيجة للتطور الجمعي على امتداد فترة طويلة، أو تأثره بمحيط العرب الجاهليين المعاصرين له، كما يزعمون[١٩].

هذا الزعم الزائف هو ادعاء وجود أخطاء لغوية ونحوية وأدبية في القرآن الكريم، وسنسرد هنا أهم الأفراد الذين تنالوا هذه الفرية الزائغة:

أولاً: نولدكه[٢٠] وبرجستراسر[٢١]

ثانياً: يفيم ريزفان[٢٢]

ثالثاً: جاك بيرك[٢٣]

رابعاً: علي الدشتي[٢٤]

وقد سلك المستشرقون طريقان لذلك:

أولاً: ترجمات القرآن:

الترجمة وسيلة من وسائل الاتصال الحضاري والتأثير الثقافي، وقد كان القرآن الكريم من أوائل الترجمات التي عرفتها لغات الغرب الأوروبي، ولحركة ترجمة القرآن تأريخ طويل، وخلال عقود هذا التأريخ وقرونه أنجز الغرب ما يربو عن الستمائة والخمسين ترجمة للقرآن الكريم، في إحدى وعشرين لغة أوروبية[٢٥].

ومن أجل تشكيل هذا الحاجز النفسي العميق الحائل بين القرآن الكريم

وبين غير المسلم عمد الغربيون في ترجماتهم إلى عدة وسائل:

١. عنونة الترجمات، مثل: قانون المسلمين لمحمد بن عبد الله. أو قوانين الأتراك، أو قرآن محمد، أو مسامرات محمد، أو أخلاق الشرق الممثلة في قرآن محمد، أو محمد ومؤلَّفه، أو الكتاب التركي المقدس(٢٦).

٢. المقدمات والملاحق - وهي محل شاهدنا في البحث – حيث أضاف المترجمون إلى نصوص الترجمة القرآنية مقدمات وملاحق ليست شارحة لمضمون النص القرآني المترجم وإنما طعون في أصالته، وسخرية من محتواه، ومحاولات للحط من قدره بأي نحو كان.

ثانياً: روايات اللحن:

وجد المستشرقون والمشككون ضالتهم في الاستناد والتدليل على تهمتهم البائسة – الأخطاء اللغوية والنحوية في القرآن - من خلال التمسك بروايات مزعومة وباطلة وردت في التراث الإسلامي، ودار مدارهم على التأكيد بأن هذا الادعاء قائم في المقام الأول على اعتراف المسلمين أنفسهم، وعلى النصوص الإسلامية التراثية.

وقد درسها الباحث جمال محمود أبو حسان في دراسة وافية تحت عنوان (دارسة ما روي عن عثمان في شأن لحن القرآن) وفحص الباحث هذه الروايات رواية رواية، وأثبت بالبرهان العلمي أنه لم يصح منها شيء ألتبه، وأنها كلها روايات ضعيفة ساقطة لا تقوم بها حجة، مع ذكر من حفل بهذه الروايات واستند إليها من المستشرقين.

ولم يكتف الباحث بذلك بل عرض إلى توضيح معاني هذه الروايات

وبين موقف العلماء منها قديماً وحديثاً على وجه علمي موضوعي[٢٧].

الإجابة الإجمالية وتتمثل في سكوت مشركي مكة

نزل القرآن الكريم في زمن تعيش فيها اللغة العربية وأدبها عصرها الذهبي، وقد تحداهم القرآن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة، تحداهم بجنهم وأنسهم، فوقفوا أمامه عاجزين وهم العارفون باللغة وأساليبها ومداخلها، فلما قصرت بهم بضاعتهم اتهموه بالجنون والسحر وأنَّه يعلمه بشر، وقالوا أساطير الأولين، ومع ذلك لم تكن قريش ومحيطها ممن عاصروا نزول الآيات القرآنية يألوا جهداً في معارضة القرآن أو أن يضعوا أيديهم على مثل هذه المخالفات اللغوية ولكنهم سكتوا، فلم ينقل لنا ناقل أنَّ الأولين من قريش ممن عاصر نزول القرآن قد سجل اعتراضاً لغوياً أو نحوياً على القرآن الكريم.

الحدود الجغرافية وشبهة تأثر القرآن بالشعر الجاهلي:

في إطار السعي الحثيث والدؤوب نحو صرف القرآن الكريم عن مصدره الإلهي الحكيم، حاول البعض أن يصور لغة القرآن بأنها صورة من الأدب العادي، ورأوا أن لغة القرآن تشبه إلى حد بعيد لغة الشعر العربي القديم في إيقاعه ووزنه وقافيته، وهذا نتيجة تأثر القرآن بالشعر الجاهلي الذي يعد أبرز خصائص ذلك العصر، وزعموا موافقة بعض الآيات القرآنية مع مقاطع من شعر أمية بن أبي الصلت وامرئ القيس مما دل في زعمهم أن القرآن الكريم قد اقتبس من قصائد الشعراء الجاهليين كالمعلقات[٢٨].

الجواب:

استخدم القرآن الكريم عدة أساليب في ردّه على شبهة الشعر، ويتخلص ذلك فيما يلي:

الأسلوب الأول: الاستدلال بالواقع من حياة النبي صلى الله عليه وآله من عدم معرفته للشعر

فقد عاش النبي صلى الله عليه وآله حياته كلها بين الناس، وبين قومه، وبين أصحابه، وكانوا جميعاً على علم بأحواله الشخصية، فيعرفون عنه أميته، وأنه لم يكن مقرضاً للشعر، حتى إذا شارف الأربعين، وجاءهم بما نبأه الله به من الوحي أنكر عليه القوم، ولاموه واتهموه بما عرفوا براءته منه، وقد استدل القرآن عليهم بعلمهم السابق بمجريات حياته عليه صلوات الله وسلامه لنفي شبهة الشعر، كما قال عز وجل معلماً رسوله صلى الله عليه وآله أن يجادلهم بهذا بقوله: (قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[٢٩].

الأسلوب الثاني: الاستدلال بالمقارنة

إن لغة القرآن نموذج لا يبارى في الأدب العربي، عجزت فصاحة العرب وبلاغتهم عن محاكاتها، لما فطنوا لخروج لغة القرآن عن أوزان كلامهم، وأساليب نظمهم، وإن القرآن لهو أشرف وأجل وأعلى أن يقارن بالشعر، أو بأي كلام آخر، وفضله على سائر الكلام كفضل الله على سائر الخلق، فلا يدانيه كلام المخلوقين فضلاً عن أن يساويه، وأن هذه المقارنة التي نحن بصددها لبيان اختلاف القرآن عن الشعر وعلوه عليه، معاذ الله أن نقصد

بها التنقص من حق القرآن، حيث إن المقارنة بين فاضل ومفضول فيها نوع انتقاص لصاحب الفضيلة بأن جعل في مصاف المفضول زمن المقارنة، فالسيف ينقص قدره إذا قيل أن السيف أمضى من العصا، وسأتعرض في هذا المقام إلى المقارنة بين القرآن الكريم وبين الشعر من ثلاث نواح ليظهر كل منهما جلياً في مقابل الآخر، وليتضح الفرق بينهما.

الناحية الأولى: أغراض ومقاصد كل منهما

إن القرآن الكريم الذي جاء بعقيدة التوحيد، والنبوة التي تنقض عقائد العرب وغيرهم، وجاء بأحكام العبادة، وتوطيد الأخلاق، وإقرار التشريع، ليبنى الفرد والأسرة والمجتمع على أقول أصول، ويهئ الإنسان ليقوم بدوره العظيم على هذه الأرض، ليختلف اختلافاً جذرياً عن أغراض الشعر، وأهدافه التي من جملتها المديح والهجاء والوصف والرثاء وغير ذلك[٣٠].

الناحية الثانية: بين أسلوب القرآن وأسلوب الشعر

ونعني بأسلوب القرآن الطريقة التي انفرد بها في تأليف كلامه، واختيار ألفاظه، فإن هناك حقيقة جوهرية وهي وجود قسمين للكلام هما: النثر والشعر، وبالضرورة لابد لأي نص مكتوب أو مقروء في اللغة أن ينتمي إلى أحدهما، إلا أننا عند سماع القرآن الكريم أو قراءته نجد أنفسنا أمام جنس أدبي متفرد في أشكاله البلاغية وأدواته الفنية والتصويرية.

وأما الشعر في معناه العام هو ذلك: الكلام المنظوم، البائن عن المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم، بما خصَّ به من النظم الذي إن عدل عن جهته مجته الأسماع وفسد على الذوق[٣١].

وحاصل الأمر إنّ الشعر قول، وهو الجنس الذي يشترك فيه مع باقي الفنون القولية من خطبة، وهو يتكون من أقوال موزونة ومتساوية ومقفى، وهذا فصل له عما ليس بموزون وغير متساو وغير مقفى.

وأما اللغة في الشعر فهي تصويرية تعتمد على الانحراف الأسلوبي، فقوام الشعر: اللغة، ولكن هذه اللغة في غير استعمالها العادي والمألوف، وهو الذي يضفي صفة الشاعرية على اللغة[٣٢].

فهذه هي بعض خصائص الشعر، وأما ما يميز لغة القرآن عن سائر كلام البشر – شعراً أو نثراً – هو:

أولاً: فصاحته وبيانه.

ثانياً: إيجازه عن الإكثار واستيفاء معانيه في قليل الكلام.

ثالثاً: إن ألفاظ القرآن قد تشتمل على الجزل المستغرب، والسهل المستقرب فلا يوعر جزله ولا يسترذل سهله، ويكونان إذا اجتمعا مطبوعين غير متنافرين ولا نجد ذلك في غيره من كلام البشر.

رابعاً: إن تلاوته تختص بخمسة بواعث عليه لا توجد في كلام غيره:

أحدها: هشاشة مخرجه.

الثاني: بهجة رونقه.

الثالث: سلاسة نظمه.

الرابع: حسن قبوله.

الخامس: إن قارئه لا يكل وسامعه لا يمل.

سادساً: تيسره على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي الأبكم، ودار على لسان القبطي الألكن، ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجري به ألسنة البكم كجريها بها، وما ذلك إلا بخصائص إلهية فضله بها على سائر كتبه(٣٣).

فهذه بعض الخصائص التي انفرد بها القرآن عن سائر كلام البشر سواء كان منثوراً أو منظوماً، وقد عجز العرب في عصر الفصاحة والبلاغة - وهم أصح الناس إفهاماً وأحدهم أذهاناً، قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ومن المعاني أغربها، ومن الآداب أحسنها – عن محاكاة لغة القرآن الكريم.

الناحية الثالثة: بين موضوعات القرآن وموضوعات الشعر

إذا قارنا بين موضوعات القرآن الكريم وموضوعات الشعر وجدنا الفرق شاسعاً، فقد خلا القرآن من أغراض الشعر من النحيب والبكاء على الأطلال، ووصف الخيل والليل والكرّ والفرّ والمدح والهجاء والرثاء وغيرها من هذه الأغراض التي يسبح فيها الخيال، وينفعل فيها الشاعر، فيصور عواطفه وانفعالاته الشخصية.

وفي الصورة المقابلة نجد القرآن الكريم يضع أهدافاً أخرى للحياة تسمو بالإنسان عن أغراض الحياة الجاهلية التي يصورها الشاعر الجاهلي، ويترك القرآن أثره هذا على الحياة الأدبية في عصره فيؤثر فيها، ولا يتأثر كما زعم المشركون، والمستشرقون.

نتائج البحث

كشفت هذه الدراسة بكل وضوح عن حقيقة المنهج الذي اعتمده أعداء القرآن والمستشرقون في الطعن بالقرآن الكريم، وأن نظرتهم للقرآن نظرة غير عادلة، يملؤها الحقد والكره للإسلام والقرآن والرسول عليه الصلاة والسلام.

ومن خلال هذا البحث توصلنا إلى النتائج التالية:

١. إن القرآن الكريم معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وقد نزل بين ظهراني العرب وكان له الأثر البليغ عليهم، وقد عجزوا عن الإتيان بمثله مع أنهم كانوا فرسان البلاغة وأعلام الفصاحة، وأن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من مبادئ وتعاليم يدل دلالة واضحة على أنه أوحي إليه بهذا من عند الله عز وجل. وأن القرآن وحي من عند الله تبارك وتعالى، وليس من تأليف النبي ما يدعي المدعون.

٢. إنَّ الشبهات التي أثاروها هي شبهات سبقهم إليها أمثالهم وهؤلاء رددوها كالببغوات مدعين اتباع منهج البحث العلمي، وهم من الحقيقة العلمية براء.

٣. إنَّ أكثر المتحمسين في هذا العصر لإثارة الشبهات والافتراءات حول القرآن الكريم هم المستشرقين والنصارى من خلال عدة آليات سلكوها للوصول لمبتاغهم.

٤. إن السبب الأبرز لظهور للشبهات اللغوية حول القرآن الكريم يرجع إلى المنهج المتبع في الدرس النحوي. والقائم على أساس الغالب في الاستعمال،

والذي له الأثر الكبير في بروز بعض هذه الظاهر اللغوية التي بدت للعيان وكأنها خروج عن المقيس في كلام العرب.

٥. عدم معقولية البحث عن الأخطاء النحوية في القرآن الكريم، بعد فرض كون القرآن الكريم أحد المصادر الرئيسية لأعمال النحاة، وأنَّ ما بدا في بعض تراكيب القرآن خارجاً عن سنن العربية هو صلب من الاستعمال اللغوي عند العرب، وأنَّ سببه قد يعزى في بعض الأحيان إلى اعتماد النحاة في التقعيد اللغوي على كلام العرب من زاوية الشعر بالدرجة الأولى بصورة تفوق الاعتماد على القرآن نفسه وأدب العرب وخطبهم ونثرهم.

٦. إنّ قواعد النحو والإعراب إنما هي موضوعة على أساس القرآن الكريم؛ لأنه هو الأصل العربي الذي تواتر إلينا عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وتحدى به فصحاء العرب منطقاً، وأبلغهم قولاً فعجزوا عن الإتيان بمثله، وأن الإعراب في اللغة العربية من أخص خصائصها التي انفردت به عن سائر اللغات السامية، وإذا كان الإعراب كعلم يدرس له أصوله وقواعده، قد ظهر متأخراً عن عصر نزول القرآن، إلا أنَّ هذا لا يعني أنَّه كان مفقوداً في لغة التخاطب بين العرب الأقحاح الذين نزل القرآن بلغتهم، بل كان سليقة لهم في الكلام فطروا عليها ونشأوا بها.

* هوامش البحث *

(١) مختار، أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج٢، ص١١٦٢.

(٢) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، **كتاب العين**، ج٣، ص٤٠٤. (بتصرف).

(٣) الموضع الأول: قال تعالى: (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً) (البقرة: من الآية٢٥). الموضع الثاني: قال تعالى: (إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) (البقرة: من الآية٧٠).الموضع الثالث: قال تعالى: (تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) (البقرة: من الآية١١٨). الموضع الرابع: قال تعالى: (وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) (آل عمران: من الآية٧). الموضع الخامس: قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء:١٥٧). الموضع السادس: قال تعالى: (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) (الأنعام: من الآية٩٩). الموضع السابع: قال تعالى: (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) (الأنعام: من الآية١٤١). الموضع الثامن: قال تعالى: (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) (الرعد: من الآية١٦). الموضع التاسع: قال تعالى: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً) (الزمر: من الآية٢٣).

(٤) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ص٤٤٣.

(٥) ينظر: الآلوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء، **فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية**، ص٣١؛ مختار، أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج١، ص٤١٤.

(٦) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج١، ص٢٤٠.

(٧) جواد، علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج١، ص٣٧.

(٨) ينظر: الجندي، علي، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، ص٨.

(٩) ينظر: الراجحي، عبده، **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، ص٣٧ وما بعدها.

(١٠) ينظر: عبد الرحيم، عبد الجليل، **لغة القرآن الكريم**، ص٤٢ وما بعدها.

(١١) الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر عبد الله الشافعي، **البحر المحيط في أصول الفقه**، ج١، ص٤٤٤-٤٤٥.

(١٢) ينظر: المنجد، صلاح الدين، **كتاب اللغات في القرآن**، ص٦-٨.
(١٣) الباقلاني، القاضي أبي بكر بن الطيب، **الانتصار للقرآن**، ج١، ص٥٣١.
(١٤) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٣ص ٧٨.
(١٥) ينظر: عبد الرحيم، عبد الجليل، **لغة القرآن الكريم**، ص٢٤٤-٢٤٥.
(١٦) ينظر: مكرم، عبد العال سالم، **القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية**، ص٢٦٧.
(١٧) ينظر: الصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، ص١٢٨.
(١٨) ينظر: عبد الرحيم، عبد الجليل، **لغة القرآن الكريم**، ص٢٣٧-٢٤٠.
(١٩) ينظر: فقهي وفرازي، عبد الحسين وعلي رضا، الرد على ادعاءات المستشرقين حول الأخطاء النحوية في القرآن الكريم، **مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها**، شوال ١٤٣١هـ، العدد ١٦، ص٩٩-١٠١.
(٢٠) Theodor Noldeke تيودور نولدكه: مستشرق ألماني، تعلَّم في جامعة جوتنجن وفيينا وبرلين، وعين أستاذاً للغات الشرقية في جامعة جوتنجن فجامعة كيل ثم جامعة ستراسبورج، له دراسات كثيرة في تاريخ العرب وثقافتهم. انظر: **الموسوعة العربية الميسرة**، ج٧، ص٣٤٣٨.
(٢١) Gotthelf Bergstrassser برجستراسر جوتهلف. مستشرق ألماني، تعلم العربية في جامعة ليبزج، وقام برحلات في الشرق الأوسط، عنى بالدراسات اللغوية، وبخاصة أبحاث القراءات واللهجات. انظر: **الموسوعة العربية الميسرة**، ج٢، ص٦٦٦.
(٢٢) Efim Rezvan يفيم ريزفان، مستشرق روسي معاصر ولد سنة ١٩٥٧م، له كتاب القرآن وعالمه.
(٢٣) Jacques Berque جاك بيرك، مستشرق فرنسي معاصر.
(٢٤) كاتب وباحث إيراني (١٨٦٩-١٩٨١م) له عدة مؤلفات في الأدب والإسلام وغيرهما، وذو منصب حكومي في دولة رضا شاه قبل قيام الثورة الإسلامية. انظر مقدمة كتاب ٢٣ عاماً – دراسة في السيرة النبوية المحمدية.
وقد صدرت الردود الكثيرة باللغة الفارسية حول هذا الكتاب منها (راز رسالت بزرك) للشيخ جعفر السبحاني، وكتاب (خيانت در كزارش تاريخ) للسيد مصطفى حسيني طباطبائي.
(٢٥) عبد المحسن، عبد الراضي محمد، **ماذا يريد الغرب من القرآن؟**، ص١٧.
(٢٦) عبد المحسن، عبد الراضي محمد، **ماذا يريد الغرب من القرآن؟**، ص٤٠-٤١.
(٢٧) ينظر: أبو حسان، جمال محمود، دراسة ما روي عن عثمان في شأن لحن القرآن،

مجلة الزرقاء للدراسات والبحوث، ٢٠٠٥م، المجلد السابع، العدد الأول، ص٤٣-٨٧ .

(٢٨) ينظر: نولدكه، تيودور، **تاريخ القرآن**، ج١، ص١٧-١٩.؛ نصري، أحمد، **آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**، ص٥٦.

(٢٩) يونس: ١٦.

(٣٠) ينظر: الكيلاني، إبراهيم زيد، **معركة النبوة مع المشركين**، ص٥٣.

(٣١) ينظر: ابن طباطبا، محمد بن أحمد طباطبا العلوي، **عيار الشعر**، ص٩.

(٣٢) ينظر: نصري، أحمد، **آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**، ص١٤٢-١٤٣.

(٣٣) ينظر: نصري، أحمد، **آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم**، ص١٤٥-١٤٦.

* المصادر والمراجع *

القرآن الكريم.

١. ابن طباطبا، محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، **عيار الشعر**، شرح وتحقيق: عباس عبد الساتر، مراجعة: نعيم زرزور، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

٢. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، **البداية والنهاية**، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣. أبو حسان، جمال محمود، (٢٠٠٥)، **دراسة ما روي عن عثمان في شأن لحن القرآن**، مجلة الزرقاء للدراسات والبحوث، المجلد السابع، العدد الأول.

٤. الآلوسي، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، **فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية**، تحقيق: يوسف السعيد، الطبعة الأولى، الرياض: دار المجد للنشر والتوزيع.

٥. الباقلاني، القاضي أبي بكر بن الطيب، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، **الانتصار للقرآن**، تحقيق: الدكتور محمد عصام القضاة، الطبعة الأولى، عمان – الأردن وبيروت – لبنان: دار

الفتح للنشر والتوزيع ودار ابن حزم.
٦. الجندي، علي، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، **في تاريخ الأدب الجاهلي**، الطبعة الأولى، المدينة المنورة - السعودية: دار التراث.
٧. جواد، علي، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الطبعة الرابعة، بيروت – لبنان: دار الساقي.
٨. الراجحي، عبده، (١٩٩٦م)، **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**، الطبعة الأولى، الاسكندرية – مصر: دار المعرفة الجامعية.
٩. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (١٤١٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، دمشق وبيروت: دار القلم والدار الشامية.
١٠. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، **البحر المحيط في أصول الفقه**، قام بتحريره: الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه: عمر سليمان الأشقر، الطبعة الثانية، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
١١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، المحقق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
١٢. الصالح، صبحي، (٢٠٠٩م)، **دراسات في فقه اللغة**، الطبعة الثالثة، بيروت: دار العلم للملايين.
١٣. عبد الرحيم، عبد الجليل، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، **لغة القرآن الكريم**، الطبعة الأولى، الأردن: مكتبة الرسالة الحديثة.
١٤. عبد المحسن، عبد الراضي محمد، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م)، **ماذا يريد الغرب من القرآن؟**، الطبعة الأولى، الرياض: مجلة البيان.
١٥. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (١٤٠٩هـ)، **كتاب العين**، المحقق: الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، قم: مؤسسة دار الهجرة.
١٦. فقهي وفرازي، عبد الحسين وعلي رضا، (شوال ١٤٣١هـ)، **الرد على ادعاءات المستشرقين حول الأخطاء النحوية في القرآن الكريم**، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية

للغة العربية وآدابها، العدد ١٦.
١٧. الكيلاني، إبراهيم زيد، (بدون تاريخ)، **معركة النبوة مع المشركين**، الطبعة الأولى، الأردن: جمعية عمال المطابع التعاونية.
١٨. مختار، أحمد عمر، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، الطبعة الأولى، القاهرة: عالم الكتب.
١٩. مكرم، عبد العال سالم، (١٩٧٨م)، **القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية**، الطبعة الثانية، الكويت: مؤسسة علي جراح الصباح.
٢٠. المنجد، صلاح الدين، (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م)، **كتاب اللغات في القرآن**، الطبعة الأولى، القاهرة: مطبعة الرسالة.
٢١. نصري، أحمد، (٢٠٠٨م)، **آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم – دراسة نقدية**، الطبعة الأولى، الرباط: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٢. نولدكه، تيودور، (٢٠٠٤م)، **تاريخ القرآن**، نقله إلى العربية وحققه: جورج تامر، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة كونراد – أدناور.